عباس تحت الشمس

بقلم : محمد نبيل الغريب

تقديم : محمود تيمور

تصور لنا هذه القصة ، بيتا عتيقا ، غامضا ، هو لغز كبير راقد فى عظمة الأسد، يسد نهاية الدرب ، ناحية الشرق ، مرســـوم على بابه كفان حمراوان ، والناس جميعا يخشون لعنته ، ويشعرون نحوه بالخوف والرهبـــة . وبين هـذا البيت والدرب تفصل رقعة واسعة من الوحل الملوء بالزجاج والأشواك ، فما يستطيع الأهلون الوصول اليه الا بعد أن يخوضوا تلك الأوحال المتراكمـــة ، وان تمضغ اضراسها الزجاجية الشائكة ارجلهم الحافية . وما يزال البيت محوطا بخفاياه حتى يستقر عزم الجبل الصاعد على أن يقتحموه ، ويعملوا فيه معاول الهدم والتدمير ، لكى يتاح للهواء المتجدد أن ينطلق ، وللنور الفيـــاض أن يعم ، وللبركة الموحلة أن تجف ، فتشيع فى الدرب حياة جديدة خالصة من الأكدار والمخاوف والأوهام .

وصورة البيت تعيد الى الأذهان صـــور البيوت أو الحصون من تراث عصر المماليك وأجزاء القصة جميعا رموز الى معان واشياء ، فظلام الدرب وقماءة بيوته رمز لحياة المجتمع القار بما فيه من عسف واضطهاد ، والبيت رمز للأوضـــاع الجاثمة على المجتمع ، تلك التى كانت تحجب عنه الهواء والنور ، والبركة الموحلة رمز للقيود التى كانت تعترض الشعب وتحول بينه وبين الحرية والانطلاق. وصورة الكفين على الباب رمز للأوهـام التى استبدت بالأهلـــين وهيمنت على مشـــاعرهم وحملتهم على الاستسلام للأمر الواقع المرير . اما اولئك الأبنـــاء الذين ثاروا على البيت الأجرب فهدموه ، وعلى الكفين فطمسوهما ، فهم رمز اليقظة القومية والوعى الاصلاحى الجديد .

وان محاولة تصوير الانتفاضة الوطنية فى هذا الاطار الرمزى لهى محـــاولة موفورة الحظ من التوفيق ، اذ استطاع الكاتب الاديب أن ينقل الينـــا صورة من الحياة فى المجتمع المغلوب على أمره ، ويرينا كيف تولدت فيه عوامل الثورةوالانتفاض على الجمود والاستخذاء ، حتى يتسنى لأهله أن يظفروا بحقهم فى بحبوحة النـــور والهواء .

وكاتب هذه القصة ، لم يسبق له أن نشر شيئا مما أعده من قصص حوتها مجموعة له ، تحت « الحرساء » ، وهى مخطوطة تنتظر الفرصة السانحة للظهور .

ولى بعد هذا دعاء ، ورجاء .

دعاء للكاتب الشاب ان يطرد توفيقه ، وان تنمو تجاربه القصصية الفنية على الأيام ...

ورجاء لباكورته الطيبة هذه ، ان تجد سبيلها ميسورا الى جمهور القراء .

محمود تيمور

عندما تشرق الشمس

ليس عجيبـــا ان يكون ذلك الدرب النحيف الأعوانى مظلما ، وان البيوت تتزاحم على جانبيه كالأقزام المتخمة ، المتطلعة الى النور ، تستجدى رئاتهم دفعات من الهواء الطازج الذى يمكنهم من الراحة والاطمئنان ، والاستشراق ، وبعث فيهم النشاط . ولكن الهـــواء الفاسد يحمل الروائح المتعفنة الكريهة ، مع الظلام الدائم الذى يخيم على الدرب النحيف ليل نهار .. قائما لا يرحل بفضل ذلك المنزل الأجرب الواقع عند نهاية الدرب ناحيـــة الشرق .. ذلك المنزل الذى ينتهى عنده الدرب .

ولم يكن هو نهـــاية الدرب فقط ، ولكنه كان كذلك نهاية دنيا الأطفال .. اطفال الدرب من ناحية الشرق . بل ربما هو نهاية حياة كل من بالدرب من ناحية الشرق .. ومادا يكون الشمال والجنوب اذا كانت البيوت تتزاحم فى عنجهية الأقزام ، متطلعة تتطاول مع البيت الأجرب الطويل الذى يسد عين الشمس ناحية الشرق .

ومادا يكون الشمال والجنوب ؟!

انهما حدود الدرب من ناحيه الشمال والجنوب . والغرب هو الطريق الموصل الى الحياة من خلف القرية كلها .. واى قرية هذه المتكاسلة المتبالدة .

لا احد يدرى غير ان الأطفال فى هذا الدرب تعودوا الظلام حتى كادوا ان يألفوه وأوشكوا على الا يملوه مثل أهليهم .. ومع ذلك كانوا يخشونه ليس بالعمق الذى يجعلهم يهلعون كما تهر الكلاب ، ولكنهم كانوا يجدون لذة فى الجوس خلاله عندما ترداد حلكة الليل ، ويرداد السكون الحساس الذى يوسوس فى صدور الناس . تلك اللذة التى تدفعهم بقوة الى احتلاء سر ذلك البيت الأجرب الذى لا يمكنهم ان يصلوا اليه حتى يختاروا رقعة واسعة من الوحل الملىء بالزجاج والأشواك التى تدمى ارجلهم العارية الصغيرة النضرة . وبعد ان يختاروا الوحل الذى تلوكه أقدامهم ، ويمضغ بأضراسه الشوكية الزجاجية ارجلهم العضة الحافية .

تبدأ رحلة الله اعلم بكنهها . لايعرفون عنها الا ما سمعوه من اهلهم . فالبيت أجرب متطاول شاهق يرهق النظر الى اجتلاء نهايته ، والمار المحترق بطوقه بعير رقة أو جمال ، فيصنع مريجا غير طيب .. ليس من الذكريات ولا من المهابة والوقار التى تضفى على كل قديم روعة وعظمة ، ولكنه مريج من الخيفة والحذر والرعب وعدم الاطمئنان .. خاصة وان باب البيت القديم يحيط به كفان قد طبعا باتقان على جانبى المصراعين .. كفان عملاقان لو نهضا قائم غطاهما التراب المحترق فجعلهما اكثر رعبا واشد اثارة .

وكلما حاول الأطفال الاقتراب من ذلك البيت المجهول سمعوا صوتا مرعبا .. انه مريج من انين خرير الماء وصليله .. ذلك الماء المحتدم والمصطدم بالجدران الداخلية للبيت ، فتزداد نفوسهم ذعرا وهلعا ، وتنقبض صدورهم خوفا وجزعا .. وتكاد تفلت احداقهم من وجوههم رعبا ، وتلتصق أقدامهم المرتجفة بالوحل رهبة ، فما يستطيعون جريا ، ولا يولون الادبار عدوا .. بل ربما يذهب الرعب بقلوبهم الصغيرة الندية الى الدرجة التى يجعلها تتجمد كما تتجمد بقع الدم على قطعة قماش .

ولكن نفوسهم العنيدة كالذباب ، الدائمة التطلع والتهافت على المعرفة تدفع بموكبهم الصغير الصباح الى استجلاء ذلك الشىء المجيب المريب الذى لا يدركون كنهه ولا يعلمون حقيقة سره ، الا مما يسمعونه ومما تتلقفه آذانهم الصغيرة المرهفة عن ذلك اللغز الكبير الراقد فى عظمة الأسد محتلا نهاية الدرب ناحية الشرق .

وكثيرا ما حذر الآباء ابناءهم ، ونهوهم عن الذهاب ناحية ذلك البيت الذى تعيش فيه روح « أبو صوابع » .. تلك الروح الشريرة التى احتلته وجعلته مسكنا خاصا بها .

ولا أحد من الأطفال فى مكنته أن يسأل بيت من هذا ، حتى يذيع على زملائه واترابه عند اجتماعهم على المصطبة بعد العشاء سرا من اسرار ذلك اللغز الكبير الجاثم فى عظمة ورهبة فى نهاية الدرب ناحية الشرق .. تلك الأسرار التى حيرت البابهم ، وبلبلت أفكارهم ، وضخمت تساؤلاتهم .

ولكن واحدا لا يلتفت الى الاطفال ،

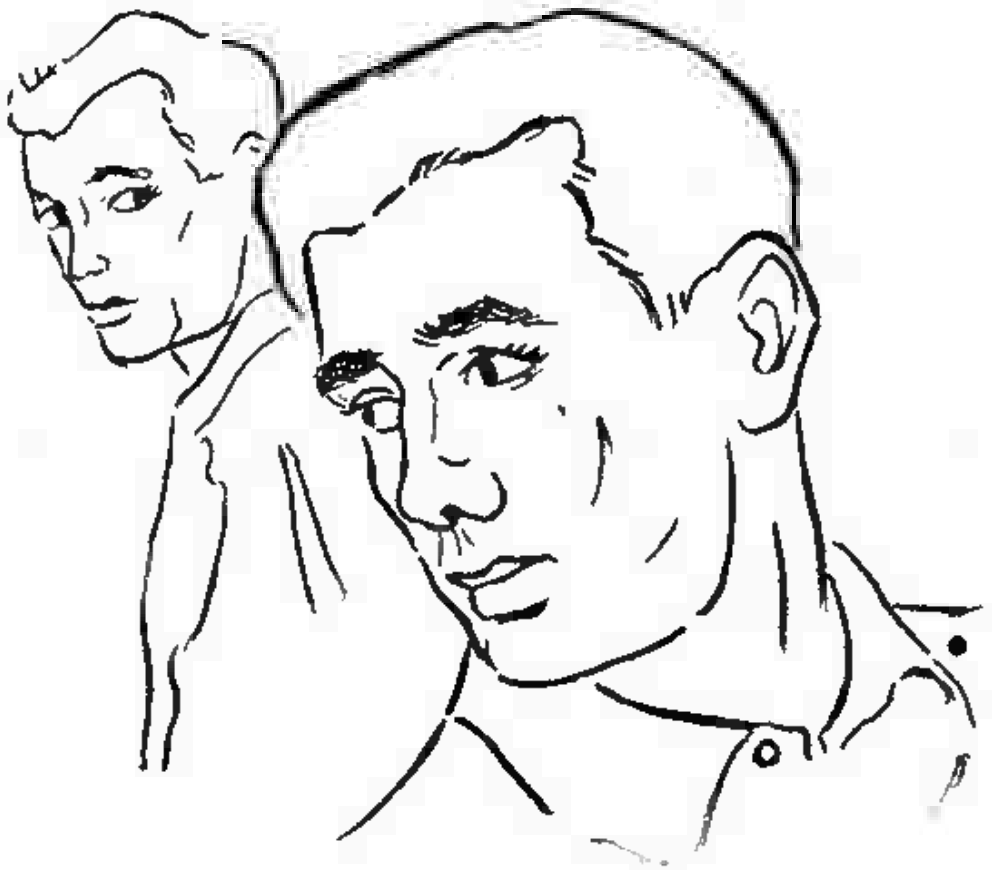

لانهم يجب أن يستمعوا فقط النصيحة فلا يذهبون الى ناحيـــة ذلك البيت الملعـــون .. ذلك لأن لعنـــة روح « أبو صوابع » تدرك من يحـــاول أن يقترب من البيت .

وكان موكب الأطفال العنيد يقترب في مكر وحذر من الوحل الممتد أمـــام البيت ، ثم يصيحون ليـــسمعوا أنين الماء المتوجع وصليله المحتدم المصطدم بالجدران في زمجره وحشيه غاضـــبه داخل البيت ، فتخفق قلوبهم الصغيرة بمشاعر بريرة خـــوف .. ومـــع ذلك يتماسكون في جلد لا أحبـــار عليهم فيه غير احبار حب الاستطلاع .

لقد صمموا على أن يســـتمعوا ذلك الصوت عن كثب .. ذلك الصوت الذي يشبه صوت الطاحونة .. انه بلا شك صوت روح « أبو صوابع » ، وعنـــدما يزداد خفقان قلوبهم ، أو يراهم رجل من اكابر أهل الدرب يضغط على صوته بكلمات مزعجه تجرهم ناحيـــة الغرب سراعى يتدافعون في خوف .. يملأون الدرب صراخا عنيفا يحمله الهواء الفاسد العطن الى بيوت الدرب المعتمة .

وفي الأمسية التالية يملكون انفسهم ، وتكون رغباتهم في الاستطلاع أقوى من الليلة السابقة ، ويكون تصميمهم أكيدا ثابتا لا يتزحزح ، وينجه الموكب الصغير ضاربا « الطلـــط » واحدة بأخـــرى فيمرو من بينهمـــا الشرار في غضب ،

وهم موقنون أن الشياطين والجن لا يجرؤون على مواجهة الشرار او النار. ويرتفع فانوسهم الصغير ناحية الباب الأجرب الكالح الاحمرار ، فيجدونه موصدا تمام الايصاد ، ويشاهدون الكفين على جانبي مصرعي الباب ، فيتدافعون كأنهم يحشرون فى حوال واحد ، ويتمائلون للانفتال فرارا .. ولكنهم يتساندون ثم لا يقدمون .

هكذا دائما .. وعلى مر الأجيال فى الدرب .. جيل بعد آخر يحاول ان يكشف عمق الأسرار .. اسرار ذلك البيت العجيب الرهيب .. ولكنهم لا يفلحون بل يفشلون ويورثون للأجيال اللاحقة خوفا اشد من خوفهم ، وغموضا اشد من غموض الاسرار . فلا يتجرأون للذهاب ناحية البيت برغم أنهم كبار ، وكذلك لا يتركون الصغار ليكتشفوا اسرار ذلك البيت اللعين لأنهم صغار .

ولهذا كان ذلك البيت اسطورة يتناولها اهل الدرب كل حسبما يرغب ومن الناحية التى تعجبه. فيضفى عليها ثوبا داكنا من اللعنة .. أو حلة عابرة من الأسطورة الطريفة .. او بصمة من الأهوال والرعب ، أو الوانا من السحرية المتحفظة التى تحتشى من شرور الأرواح والأشباح واللامرئيات النهارية .

كان البيت لأحد الملتزمين فى العهود الغابرة ..

كان رجلا عليظ القوام على نحو يتآلف مع صحامة ما يمتلك من مال وأرض وعقار .. وكان يحكم ناحيته تلك القرية حكم المتجبر المتسلط المتطفل فى دناءة وقحة . يحرم على عباد الله ما حلله الله .. ويرضى لهم بغتات موائده طعاما ، ونفايات شرابه شرابا .

كان يحبس كل من عليه دين له بدون طعام او شراب حتى يسارع اهل المدينة لنجدته ، ولم يكن يرحم كل من اجترم جرما ، بل ربما علقه من أعقابه فى سقف حجرة خاصة حتى تطفح روحه عن بدنه وتفارقه ، فيطلقه الى بئر عميق مظلم فى أرض الحجرة ، فيذهب الرجل كما تذهب الأيام التى لا تعود .

ولم يكن يسمح الرجل لأى رجل قط مهما كان ان يلبس مثلما يلبس الجلباب الأبيض حرام كالكفر فمن لبسه فقد كفر فى حق ذلك الملتزم ، و « المركوب الاحمر » من لبسه فقد اخطأ فى البخارى، ومن ليس طربوشا عثمانيا فمثله مثل من رأى الحلال فى الحرام .

وشاء القدر لهذا الرجل المتحجر القلب ، المتصلب المشاعر ، الدموى النظر ان يقتلع ابنته من حديقة الحياة، تلك الابنة الوحيدة له فى هذه الحياة .. وتلك التى كانت بمثابة سميرته ، وخليلته ، وصاحبته ، وامه ، واخته ، وابنته . وبدات اسهم القدر تمر الى قلبه الذى استعصى عليها سنينا .. ذلك الذى امضى زمانا طويلا يعروه فيقهر ، ويجالده فيهزم .. حتى بدا يتفتت ويتحطم ويتهشم بمرور الوقت بعد أن اختطف القدر وحيدته .

وما كان « أبو صوابع » هذا الا خادمه الذى لا يخشى مكره ولا يرى فى طباعه

ميلا لاعتياله ، ولا يتوهم فيه طمعا فى ارضه او ماله او عقاره . وكان نعم الجلاد الذى ينفذ الأحكام بسرعة قادرة وبقدرة واثقة خـــارقة .. فكم ادلى برؤوس واجساد فلاحين وعمـــال الى الاعماق الرطبة المظلمة المتعفنة لذلك البئر الموجود فى أرض تلك الحجـــرة الموجودة بذلك البيت .

وبدا الملترم ينهار رويدا رويدا .. ولكن انهياره كان بطيئا . وكان أهـل الدرب يسترددون بعض انفاسهم اللاهثة فى عمل مستمر دائب على عجلة العمل اليومى فى حقول ذلك الرجل .. تلك الحقول التى كانت حقولهم ذات يوم ، والتى آلت اليه على هيئة ضرائب وديون وما شاكل ذلك .

ومات الرجل !! .. مات ! ومنـــذ ذلك الحين والبيت لم يفتح له باب .. وكان الناس يزرعون الأرض ، ويعملون بالحقول كما اعتـــادوا .. ولكنهم كانوا يدخرون المحاصيل، لأنهم كانوا يخشون عودة ذلك الرجل مرة اخرى .. ربما يعود فهو كالقطط يسبعة أرواح .. لقد مات كثيرا ثم عاد الى الحياة كثيرا فى ايامه الأخيرة .. ربما يعود !!

ولكنه ذهب ولم يعد .. ولقد مرت أعوام كثيرة دون ان يعود .. ومع ذلك فهم فى دهشة من أمر جلاده «ابو صوابع» ابن ذهب ؟!! ذلك الرجل الذى ادركه الهرم والعمى والصمم .. هل ذهب الى سيده ليرقد بجواره ؟ ! ام انه طـــل سجينا فى هذا البيت ؟! واذا كان بالبيت فهل هو حى بفعل قوته الطاغية وقدرته الخارقة برغم هرمه وعماه وصممه .. ام انه قد تطرق اليه الضعف والهزال واعتصره المرض ؟! ذلك ما لا يعلمـون عنه شيئا .. برغم أن روح الأســـاطير فى نفوسهم تؤمن بأن هذا الثعبان العنيد مازال باقيا على قيد الحياة ، يصرخ مهيبا فى أشباح الدين قتلهم بالصمت والسكون والاستسلام لرقدة الأبد .

اما البعض الآخر فيؤمن بأن الرجل قد مات وحيدا فى هذا البيت منذ أن اعتزل الحياة والأحياء على اثـــر مـــوت سيده ، ولذلك فان روحـــه هى التى ترمجر بوحشية متعجـــرفة وقســـوة متطرفة داخل الجدران .. جـــدران البيت العتيق ، بصوت كله أسرار يشبه صوت الطاحونة .

اما كفاه فقد طبعهما على مصراعى الباب كذكرى وعبره لمن تحدثه نفســـه بالثورة أو التمرد على سيده «الملترم».. لقد كان الكفان لابى صـــوابع . طبعهما باتقان على جانبى اطار الباب ..

كفان معموسان بأول دم لرجل صرعه ذلك الرجل الشيطانى الحـــد والطـــاع والحلق .

مرت الأيام سراعى ..

وعاد الأطفال شبابا .. عـــادوا من مدارسهم البعيدة فى القاهرة ..

وفوجئ اخى بهم ،وسمع لهم ضجيجا وثرثرة لم يتعودوا سماعها .. لقـــد سمعوهم يتناقشون فى امور عظيمة لـــم يـــسمعوها من قبل .. سمعوهم ينكرون الظلمة والعتمة التى ترعرعوا فى احضانها

ورضعوا من ظلماتها .. وسمعوهم يتقززون من تلك الرياح الفاسدة التى يحملها الهواء الى بيوت الدرب المتساندة فى عنجهية الاقزام .. واحسوا بأن بين جنوبهم ريحا صرصرا عاتية ، وفى احداقهم شرارا ونارا ، وفى اصواتهم رنين اجراس لها دوى ملتهب يرمحر فى حقد وغضب جبار .

وفرحوا !! .. فرح الناس .. اهل الحى السذج .. فرحوا فى طيبة ، لانهم انتصروا .. انتصروا على الجهل .. لقد اصبح الاطفال : اطباء ، ومهندسين ، ومحامين ، ووكلاء نيابة .. الخ .. انهم شباب المستقبل الذين سيفخرون بهم .

فهموا هذا فقط .. ان العلم شباب ثائر ، وربيع دائم متجدد .. وحياه حرة لا تنتهى .. وفيضان لا يغيض ماؤه ، ولا يفنى خصبه . ان العلم يدفع فى قلوبهم آمالا عظيمة ترتفع بهم على اجنحة لا مرئية الى آفاق احلامهم .

وتركوهم .. تركوهم وذهبوا ليناموا .. نعم ان النوم راود اجفانهم ، وحمل اعصابهم الى اعماقه .

اذن الفجر ..

ولم يعد الشباب من مثلداهم بعد .. لاشك انهم فرحون بلقاء بعضهم البعض .

ولكن الاذان الصاعية تسمع تصدعا يصحبه اهتزاز وتشقق .. ربما تكون اجراس .. اى اجراس هذه ؟!! اجراس ثائرة ، ودقات طول حارة عابسة .. لعل الاحلام تنتقل بقلوبهم السعيدة الى آفاق بعيدة فى جولة لا نهاية لهـا .. ربما يتخيلون انهم على ابواب الجنوب من افريقيا .. او فى بلاد الفاتيكان ..

اشياء مروعة حقـا .. لا يمكن ان تكون هذه اوهام احـلام .. ان اذان الفجر يختلط بصوت الطبـول ، مع دقات النواقيس .

انه شىء مريع بلا شـك .. ولكن اجسادهم الواهنـة فى الفراش تلك الاجساد التى لم يدع النوم جزءا فيهـا الا احتله تهتز كانهـا قد أصيبت بمس كهربائى .. ان أصوات المعـاول تمضغ أحجارا فى حقد وغيظ .. فى غير رحمة وبلا هوادة .. وسقوط أحجار قديمة لئن فى بؤس والم ومرارة وخشوع .

وخرج الحى عن بكرة أبيه .. خرج ليشاهد باب البيت الأحـرب الطويل فاقـدا مصراعيه .. انه علم مزعج . وقال سـيء .. ولكن ايديهم التى يفركون بها اعينهم غير المصدقة ، وايديهم التى تلدغ اجسادهم تشير الى حقيقـة لا خيال ..

لقد ركب الشباب رؤوسهم واندفعوا فى ذلك البيت الأحرب المتطاول الذى يسد عين الشمس ناحية الغرب .

وتملك الناس وهم ، وبدأت قلوبهم الفزعة تشعر بخـوف يزدردها مرة وتزدرده مرة .. انه بيت الملتزم الذى عبده « ابو صوابع » .. اما كفى هؤلاء الطائشـون .. أنهـم تعلمـوا من ريع تلك الأراضى التى استردوها ،فماذا يصنعون ـ اذن ـ اذا عاد الملتزم ثانيه يصحبه ذلك الثعبان اللعين «ابو صوابع»

.. انه سيمثل بهم شر تمثيل .. سيسحلهم .. سيشنقهم .. سيحرقهم ويذريهم فى الهواء .. كم سيلحق الحى من أذى وشرور وآلام وبؤس وشقاء .

وبدأوا يصرخون فى الشباب ليعودوا أدراجهم .

ومع ذلك لم يعد أحد .. لقد ركبوا رؤوسهم وانتهى الأمر .

وتدافع الناس خلال باب البيت كما تتدافع المياه من فوهة خرطوم .

كانت المياه تندفع من عين صدعت جدران البيت وبعدت الى صحن البيت وحجراته .. ووجدوا طريقا ممهدا يشق المياه حتى السلم .. انه طريق عجيب أشبه بطريق موسى عليه السلام .. وكان صحن البيت كئيبا معتما يهجس فى جنباته صمت أخرس بأصوات لا تسمع بآذان ولكنها تنطلق من داخل الانسان ، وتوحى اليه بأشياء غامضة .. ورغم ذلك تدافعوا الى الدور الثانى حيث ان الدور الأول لم يكن به ما يغرى باستطلاعه او التعرف عليه .

على يمين الداخل قاعة واسعة يقبع فى صدرها كرسى ثقيل مرصع بأحجار كريمة ثمينة لا تقدر بمال .. وكراسى أخرى مرتبة كجناحى طائر متزن فوق شجرة .. عظمة .. كبرياء .. ثراء .. وتخمة .. تخمة فى العفن .

وطفق الناس يتخطفون تلك الأشياء الباهرة التى لم يروها الا نادرا تلك التى أخذت بروعتها عقولهم ، وافقدتهم رشدهم ، وأذهبت لبابهم ، وبلبلت افكارهم .

انها أشياؤهم .. هى ثمار جدهم وتعبهم وسهرهم ومرضهم وشقائهم .. وتركوا تلك الحجرة التى على يمين الداخل الى الردهة العظيمة الواقعة أمام السلم الرخامى للبيت العتيق .

كانت حجرة الأكل الى جوارها .. صحاف فى لون الذهب الوهاج .. صحاف واطباق وشوك وملاعق متناثرة فى اعراء فى كثرة وازدحام . مناضد عاج .. كراسى وارائك وثيرة .. انها جزء من كدهم ، وبعض ثمار كفاحهم .. وطفقوا يحملون كل ما تقع عليه ايديهم فى لذة ولهم المحروم .. انهم قد حرموا ذلك زمنا طويلا ..

وكانت الحجرة الأخرى هى حجرة نوم .. اسرة .. انها ليست أسرة .. انها واحة الراحة فى طريق المتعبين من الراحلين عبر الصحراء .. بل انها النبع الحلو بعد الجرى الدائم وراء السراب .. أسرة الراحة .. الراحة الأبدية .. هيا ارفعوا ما قد حرمنا منه زمنا طويلا ..

ولكن هناك صورة معلقة فى ثقة ، واطمئنان وفى تحمة وكبرياء وعنجهية طاغية .. وحملوا الصورة وتدافعوا .. كانت صورة الطاغية الملتزم .

ولم تكن الحجرة التالية الا الحجرة المظلمة ، كم يرقد فى قاعها المظلم العميق من اجساد فلاحين وعمال ظلموا بدون جريرة أو ذنب يمكن مؤاخذتهم به .. كان الطريق اليها يستدعى العبور من خلال سرداب ضيق يؤدى الى صحن أمام باب الحجرة ثم يؤدى هذا الأخير الى الباب ..

وفتح الباب .. كانت معتمة حقا ، والروائح الكريهة المتعفنة للأجساد المظلومة المتحللة تزكم الأنوف وتتسرب الى الرئات .. وبسرعة البرق تم لهم صنع مشعل .. أوقدوه ، وسلطوا أضواءه على الجدران الداخلية للحجرة .. كان ينهض فى وسطها « مقصلة » بقاعدتها ثقب كبير يمتد من خلال ارضية الحجرة العليا الى الحجرة السفلى ويتسع لمرور أضخم الأجساد .. أما سقف الحجرة العليا فيتدلى منه حبه .. تحمل هيكلا ناحرا متعفنا ..

وسرت همهمة وهيسمة بين الناس .. انه بلا شك جسد السفاح «أبو صوابع» .. واختلفت الآراء فيه .. وفضل بعضهم اشعال ذلك الجسد الشيطانى جسد الطاغية السفاح .. وفضل البعض اطلاقه الى بئر الضحايا وكفى الله الشر .

وكم كانت قلوبهم متسامحة طيبة رحيمة .. فأطلقوه الى القاع .. الى بئر الضحايا .. وسمعوا صوت عظامه المتحبط فى صوت تكسير الانتهاء الى الأرض ينتهى الى أسماعهم .

وهرعوا الى أعلى حيث يعمل الأبناء .. وأخذوا يدفعون الاحجار التى سدت السلم الى أسفل .. ثم أطلقوا صورة « الملترم » من حالق ليرقد حطامها بين الأحجار .

وكان الصباح مشرقا جميلا .

ولأول مرة تنطلق اشعة الشمس فى حرية وفى غير قيد تسل بيوت الحى من الظلام الحناس الذى يوسوس فى صدور الناس ..

ولأول مرة تتسلط حرارة تلك الاشعة مركزة على الأوحال والأوشال وبقايا الماء المتعفن الآسن فيتماثل للجفاف بل ويستمر فى التبخر .

ثم يتجدد الهواء .

ويتجدد باستمرار دائم التجدد .

ويخرج الحى متطلعا من جديد الى المنزل الذى كان راقدا كالأسد ناحية الشرق يسد عين الشمس .. فلم يعد نهاية الدرب .. ولم يكن نهاية دنيا الاطفال من ناحية الشرق .

وخرج الأطفال يمرحون فى حرية وانطلاق كاشعة الشمس يجوبون الدرب ويخترقونه ناحية الشرق الى الأحياء الأخرى المتعددة التى تسلم كل منها الى الاخرى .

أما الكبراء فكانوا ينظرون الى الأطفال فى فرح غامر ، وعيونهم وقلوبهم تقول ناصحة بالسرور : « انهم الجيل الجديد .. الجيل الصاعد » .

محمد نبيل الغريب